المنهج التفكيكي وآثاره في نصّ علماء المسيحيّة

الطالب الدكتور محمّد لمين إبراقن
مخبر البحث في الدّراسات العقديّة ومقارنة الأديان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة: قسنطينة

بعد ظهور مناهج النقد الأدبيّة الحديثة بأشكالها وأنواعها المختلفة، بدأت في التسرّب والانتشار والتّطبيق على نصوص الكتب المقدّسة من قبل علماء الأدب وكذا علماء أصحاب تلك الكتب المقدّسة، ومن أكثر الكتب الّتي تعرضّت لها هذه المناهج الأدبيّة الحديثة هو الكتاب المقدس.

استعمل علماء المسيحيّة مناهج عديدة ومتنوعّة لتأويل نصوص الكتاب المقدس، كمنهج النّقد النّصّي، والمنهج التّاريخي، والمنهج المصدري، والمنهج الشّكلي، والمنهج التّحريري، والمنهج البنيويّ، وغيرها.

ومن هذه المناهج الأدبيّة الحديثة الّتي استعملوها في دراسة نصوص الكتاب المقدس هو: المنهج التّفكيكي، الّذي ينفي وجود أي معنى أو تفسير صحيح لنصّ ما، أي أنّه لا يمكن لأيّ نصّ أن ينقل رسالة واحدة موثوقة ومتّسقة ومتماسكة لكلّ من يقرأها أو يسمعها.

وتطبيق المنهج التّفكيكي بهذا المعنى يؤدّي إلى هدم دلالة النّصوص وزعزعة الثّقة فيها، ويفتح المجال لتعدّد القراءات والتّأويلات.

إنّ المنهج التّفكيكي بهذا المعنى الهدّام لنصوص الكتاب المقدّس ومعانيها المتّفق عليها بين جميع الطّوائف المسيحيّة، نريد أن نسأل الآتي:

أوّلا: ما موقف علماء المسيحيّة تجاه هذا المنهج التّفكيكي الّذي يدعوا إلى إبعاد كلّ معنى ظاهر يقيني تدعوا إليه النّصوص؟

ثانيا: ما الّذي دعى ببعض علماء المسيحيّة للقبول بهذا المنهج واستعماله في دراسة نصوص الكتاب المقدس؟

ثالثا: ما النّتائج الّتي توصّلوا إليها بعد تطبيق المنهج التّفكيكي على نصوص الكتاب المقدس؟ وهل تطبيقه أدى إلى التّعارض بين مسلمّات دينهم أو إلى موافقتها؟

هذا ما تريد هذه الورقة العلميّة الإجابة عنه خلال عرض موقف علماء المسيحيّة من المنهج التفكيكي رفضا وقبولا، ثمّ البحث عن آثار قبول هذا المنهج على عقائدهم ومسلّمات دينهم.

مبحث تمهيدي: مفهوم المنهج التّفكيكي وخصائصه

مصطلح التّفكيك ومعناه:

أوّل واضع لمصطلح التّفكيك هو الفيلسوف الفرنسي من أصل جزائري **جاك دريدا**[1] (1930 – 2004م).

والمقصود بالتّفكيكيّة أنّها عبارة عن جملة من التّقنيّات لعلاقة اللّغة بالمعنى، بمعنى آخر: هي تقنيّات ومهارات لقراءة النّصوص لإظهار التّوتّرات والاضطرابات الّتي فيها.

هذه التّوتّرات والاضطرابات تأتي من التّناقضات الموجودة داخل النّصوص نفسها، وفي حالات كثيرة بين معانيها الظّاهرة ومفاهيمها الموافقة والمخالفة لها.

فلو عندنا نصّ يتكلم عن قوامة الرّجل مثلا، فظاهره يدلّ على ذكر فضل الرّجل في هذه الخصّيصة، ومفهومه هو عدم اتّصاف المرأة بهذه الفضيلة، فالنّصّ نفسه يوحي بوجود صراع بين أيّهما أفضل الرّجل أو المرأة وهو بتفضيله الرّجل دالّ على انتقاص المرأة.

لذلك يقولون أن تفكّك هو أن تمزّق شيئا وُضع من شخص لهدف وغرض معيّن أراده، تُفصّل كلّ أجزائه لتُخرج القوى المتخفيّة الّتي أنتجته.

1– ولد في مدينة البيار، بالجزائر.

حقيقة التّفكيك وأصله:

يقول جاك دريدا في حواره مع الفلاسفة، كلّ التّجارب الإنسانيّة وتواصلاتهم غير مباشرة وغالبا ما تكون بواسطة، فليس هناك معنى واحد متجاوز واقع وراء الخبرة البشريّة.

التّفكيكيّة تقول أن ليس هناك إلّا اللّغة، وإشارة إلى إشارات. فالحقائق التي نجربها ما هي إلّا فهم لنا لها، نقلت إليها بواسطة فهمنا لها، والفهم أو التفسير لها هو لغة.

في الكتاب المقدس مثلا، إسرائيل أو يسوع التّاريخي، ليسوا أشياء نصفها ونكتشفها، وإنّما هي إشارات تفسيرية، فهم نصوص حاملة لمعان.

اللّغة تنشئ معنى، ليس بالإشارة إلى أشياء موجودة في الخارج، وإنما بالتفريق بينها وبين إشارات أخرى.

التّفكيك هو هذا التفريق، فـ"الفرق" ***Différance*** ليس شيئا في الواقع، ولا هو كلمة، ولا يشير إلى شيء عنده.

الشّيء الثّاني اللّغوي الّذي استعمله هو "تحت الكلمة الممحوة"، كلّ كلمة لها معنى تجاوزي جعله من الكلمات الممحوة فكان يكتبها مشطبا عليها.

فـ"التّفكيك لا يتحدّث عن تعدّد القراءات للنّصّ الواحد... ولكنّه يفرط حتّى يذهب إلى (لا نهائيّة القراءات) وذلك في ظلّ غيبة مركزيّة النّصّ، ومقصديّة المؤلّف، لتحلّ محلّها مقصديّة جديدة هي مقصديّة القارئ وحده. فالنّصّ في التّفكيك لا قيمة له من غير قارئ، وهذا القارئ السّلطان هو الّذي يحدّد دلالته"[1].

لماذا تفكيك الكتاب المقدس؟

الهدف من استعمال العلماء للمنهج التّفكيكي على الكتاب المقدّس لم يكن من أجل الطّعن فيه أو النيل منه وإبطاله، وإنّما الغرض كان هو الفضول المعرفي، لمعرفة ما تحتويه بطون نصوصه.

وأوّل تطبيق على الكتاب المقدّس كان من جاك دريدا نفسه، حيث كتب مقالة بعنوان "أبراج بابل **Des Tours de Babel** "[2] الّتي فكّك فيها نصوص سفر التّكوين 11/ 1 – 9.

1– القصّاب، وليد، **مناهج النّقد الأدبي الحديث: رؤية إسلاميّة**، ط2، (دمشق: دار الفكر 2009م)، ص190–191.

2– انظر: Derrida, Jacques. 1985. “Des Tours de Babel”. in Joseph F. Graham, *Difference in Translation*. Cornell University Press. 165–207.

المميّزات والخصائص الرّئيسيّة للتّفكيكيّة[1]:

الخاصيّة الأولى: النّص موقع للصّراع:

والمراد بهذه الخاصيّة هي أنّ النّصّ في أساسه عبارة عن صراع ما بين أفكار يظهرها الكاتب مباشرة ويدلّ عليها من خلال كلماته وأفكار أخرى خفيّة يخفيها ولا يتكلّم عنها، وهذه الصّراعات عند المفكّك هي تناقضات داخليّة داخل النّصّ، أي تناقضات في التّفاصيل.

فالهدف عنده هو البحث عن المعاني المناقضة للمعنى الظّاهر، فمثلا يتساءل المفكّك حين قراءته للإصحاح الأوّل من سفر التّكوين: لماذا خلق الله السّماوات والأرض في ستّة أيّام وليس أربعة أو عشرة؟ ولماذا في قصّة طوفان نوح ذكر حيوانين فقط وليس سبعة؟ وهكذا يبحث دائما عن الرّؤية المناقضة للنّصّ، الهدف ليس هو رفع التّناقض، وإنّما إظهاره وإبراز الوجه المتخفّي في النّصّ.

الخاصيّة الثّانية: ليس هناك مُعنى به:

والمراد بها أي ليس هناك مُعنى مشار إليه في الخارج من أجل كتب النّصّ، بل الموجود هو معطي المعنى فقط. فليس الكتابة ولا الكلام يعطي معنى واضحا؛ لأنّ كلّ معنى يشير إلى معنى آخر وهكذا إلى ما لا نهاية، فلا يمكن إدراك المعنى المرجو من المؤلّف.

الخاصيّة الثالثة: ليس هناك شيء خلف النص:

والمراد بها هو إذا كانت الإشارات الّتي يتحدّث عنها النّصّ لا تشير إلّا إلى إشارات أخرى لغويّة غير موجودة في الخارج، فليس هناك إلّا اللّغة هي الّتي من خلالها يمكن أن نفهم المقصود.

ولأنّنا لا نعرف من كتب الكتاب المقدّس، ولا متى كُتب، ولا خلفيّته التّاريخيّة الّتي كُتب فيها، فليس هناك شيئا مقصودا وراء النّصّ أصلا، فيمكن حمله على كلّ المحامل.

الخاصيّة الرّابعة: ليس هناك مركز للنّصّ:

كل من ادّعوا رسالة مركزيّة للكتاب المقدّس تجدهم تجاهلوا نصوصا وأوّلوا أخرى كي يتمشى ذلك مع فكرتهم المركزيّة، إلّا أنّه في الحقيقة ليس هناك فكرة مركزيّة أصلا لصاحب النّصّ، فكلّ شخص يفهمه على حسب تفسيره ومركزه الّذي يريد الوصول إليه.

1- انظر: Penchansky, David. *Deconstruction and the Bible*, p. 6-9.
https://www.academia.edu/1389838/Deconstruction_and_the_Bible

فالكتاب المقدّس كثير التّنوّع والاختلاف كي يكون له مركز. والتّفكيكيّة هدفها إظهار هذا التّنوّع والاختلاف والتّركيز عليه وليس محاولة الجمع بين النّصوص المختلفة والوصول إلى فهم غرض المؤلّف منها وما أراد إيصاله للقارئ.

الخاصيّة الخامسة: إقلاب وإعادة تشكيل الزّوجية (ما تكون من شيئين):

التّفكيكيّة تسقط الزّوجيّة والثّنائيّة وتعطي الرّيادة للشّيء المقابل.

فإن كان الكتاب المقدّس أعطى أكثر أهميّة للرجل مثلا في نصّ من النّصوص، فالتّفكيكي يقرأ النّصّ بإقلاب هذه الزّوجيّة وذلك بإعطاء الأهمّيّة للمرأة مكان الرّجل، وإن تكلّم النّصّ عن الخير فيقلب النّصّ ليجعله للشّرّ وهكذا.

وهذا يفيد عندهم في إظهار الأشخاص والجماعات والمجتمعات الّتي أُسكت صوتها في نظرهم وأُخفي ولم يُرد لها الظّهور، وكذا إظهار بعض الضّعف في النّصوص السّلطويّة بإظهار أضدادها المضطهدة وهكذا.

تقنيات المنهج التّفكيكي لقراءة النّصوص[1]:

يقوم المنهج التّفكيكي على تقنيّات ومهارات يستعملها القارئ ويسير عليها حين قراءته للنّصوص كي يصل إلى غرضه وهي كالآتي:

أوّلا: القراءة بارتياب:

يطلب من القارئ أن يقرأ النّصّ باحثا عن الرّؤية السّلطوية الظّاهرة في النّصّ بُغية إضعافها والبحث عن عكسها والقيام برفعها وإعطائها السّلطة والمكانة العليا.

مثلا: في سفر يشوع، التّفكيكيّة ترفع من الكنعانيّين المظلومين في نظرهم، وفي سفر التّكوين تركّز على الحيّة ودورها الّتي قامت به وليس على الله. وهكذا في كافّة النّصوص.

فهي "لا تقنع بما هو واضح ظاهر من معانيه، بل تبادر إلى تقويضها بالبحث عن معان أخرى تتناقض مع ما هو ظاهر أو مصرّح به"[2].

ثانيا: البحث عن السّطور الخاطئة في الحكاية السّلطوية:

1- انظر: Penchansky, David. *Deconstruction and the Bible*, p. 9-10.
https://www.academia.edu/1389838/Deconstruction_and_the_Bible

2- القصّاب، وليد، **مناهج النّقد الأدبي الحديث: رؤية إسلاميّة**، ط2، (دمشق: دار الفكر 2009م)، ص199.

والمقصود بها أنّ القارئ حين تدبّره للنّصّ يجب عليه أن ينظر في مواضع عدم الوضوح، ومواضح الخلاف والتّناقض، والأمور غير العقلية الموجودة فيه كاحتقار المرأة والقتل وحكايات الجن وإخراج الشياطين والمعجزات وغيرها من الغيبيات، فيقوم بشطبها ونزعها من النّصّ.

فالتّفكيكيّة لا تبحث عن فهم للنّصّوص تاريخيّا مثلا أو تبحث عن طريق للتّقليل من بشاعتها، بل تبحث لاستظهارها واستنطاقها أكثر.

ثالثا: تحديد الزّوجية وقلبها:

يطلب من القارئ النّظر إلى الزّوجيّة والثّنائية الّتي يذكرها النّصّ، ثمّ إظهار طرفها المهمّش والمسكوت عنه، فيقوم برفعه وإعطائه الأولويّة عكس مراد المؤلّف.

مثلا: سفر الحكمة يفرّق بين الحكيم والجاهل، كي يقتد القارئ بأفعال الحكيم ويجتنب أفعال الجاهل. يأتي المفكّك ويسأل نفسه: لماذا قسّم الفعل بين حكيم وجاهل؟ ومن يقرر ذلك؟ وهل هذه القسمة وضعت للتّسلط على الآخر؟

وفي سفر أيّوب نجد حوارا بين الله والشّيطان، المفكّك ينظر إلى الشّيطان ويركّز عليه ويؤوّل النّصّ من أجله.

رابعا: البحث عن الهامشي والثّانوي:

لا بد للقارئ بالمنهج التّفكيكي أن يركّز على ما ليس بمهمّ، على الهامشي، على التّفاصيل غير المهمّة، فيجب عليه أن يقلب الأولويّة.

بهذه التّقنيّات يصبح للنّصّ معنى مضادّا تماما عمّا وضعه عليه مؤلّفه ليصبح على ما أراده القارئ منه، وهذا هو هدف التّفكيكيّة، أن تفرّغ النّصّ عن مضامينه الحقيقيّة الظّاهرة إلى مضامين خفيّة هامشيّة.

المبحث الأول: بداية دخول المنهج التّفكيكي في تفسير الكتاب المقدّس:

بدأ دريدا بالكتابة في السّتينات، بعدها بقليل بدأت أفكاره في الانتشار إلى أن أصبحت مشهورة في شمال أمريكا، خاصة ضمن النّقّاد الأدبيّين وعلماء الأدب الإنجليزي.

وفي بداية السّبعينات والثّمانينات بدأ علماء الكتاب المقدّس اكتشاف النّظريّة الأدبيّة لتشكيل منهج مقابل للمنهج التّاريخي النّقدي الّذي لم يرضوا به.

فبدأ هؤلاء العلماء يقرؤون النّظريّات الأدبيّة لمّا بدأ دريدا في الاشتهار بين علماء النّقد الأدبي، فقدموا هذه النّظريّة وقاموا بتطبيقها على الدّراسات الكتابيّة.

وكانت أولى النّقاشات حول التّفكيكيّة بدأت في هذه المنتديات:

- مجلة ا***Semeia*** المنشورة من قبل مجمع الأدب الكتابي **Society of Biblical Literature.**
- وفي الجمعيّة الكاثوليكيّة الكتابيّة **Catholic Biblical Association.**

هكذا دخلت التّفكيكيّة في الدّراسات الكتابيّة من قبل النّقد الأدبي.

ومن المعاني الخطيرة الّتي حملتها التّفكيكيّة هي ادّعاء أن ليس هناك معنى تجاوزي، أي ترفض كلّ الأفكار والنّصوص الّتي تتكلّم عن الأمور الميتافيزيقيّة الغيبية، فهي تنكر إنكارا تامّا على نصوص الكتاب المقدّس وغيره الّتي تتحدّث عن الله وتدّعي وجود معنى تجاوزي هو الله وغيرها من الغيبيّات.

ف"لا حرمة لشيء، ولا قداسة لنصّ مهما كان مصدره، بل إن جميع المرجعيّات قد ماتت، مات المؤلّف، ومات الإنسان، وماتت اللّغة والمفاهيم والأفكار، ولا غرابة في هذه القائمة الطّويلة العريضة من الأموات، ما دام هؤلاء قد أماتوا الله نفسه"[1].

المبحث الثّاني: المؤيّدون للمنهج التّفكيكي كليّا وآثاره في نظرهم:

أوّل الأماكن الّتي دخلت فيها أفكار التّفكيكيّة هي من الّذين كتبوا في اللّاهوت النّظامي، مثل توماس ألتيزر[2] Thomas Altizer الّذي كان الممثّل لحركة موت الإله في السّتّينات.

ومن أوائل من أدخلها أيضا لويس ماكي[3] Louis Mackey الّذي كتب مقالة في 1983م بعنوان: "تحدب نحو بيت لحم: مهارات تفكيفية في اللاهوت Slouching toward Bethlehem: Deconstructive Strategies in Theology".

1- القصّاب، وليد، **مناهج النّقد الأدبي الحديث: رؤية إسلاميّة**، ط2، (دمشق: دار الفكر 2009م)، ص202.

2- فيلسوف بريطاني، ولد سنة 1927م في كامبرج، كان أستاذ الدراسات الدينيّة، توفى سنة 2018م.

3- فيلسوف أمريكي، ولد سنة 1926م في الولايات المتّحدة، كان أستاذ الفلسفة في جامعة تكساس، توفى سنة 2004م.

وبيتر ميسكال[1] Peter Miscall كان من أوائل من استعمل دريدا في تفسير النصوص الكتابية، وله في ذلك كتب متعدّدة منها: "سفر إشعياء: (قراءات، تعليقات كتابيّة جديدة) Isaiah (Readings, a new biblical commentary) ، و"صموئيل الأول: قراءة أدبية 1 :Samuel A Literary Reading" وغيرها.

وناقد العهد الجديد جاري فيليبس[2] Gary Phillips أيضا من أفضل من أشهر دريدا في الدّراسات الكتابيّة، له كتاب "النّقد ما بعد البنيوي والكتاب المقدّس Poststructural Criticism and the Bible" و "الكتاب المقدّس ما بعد الحداثي The Postmodern Bible" وغيرها.

آثار المنهج التّفيكيكي بالنّسبة للمؤيّدين له:

بعد الأخذ بالمنهج التّفكيكي كليّة كما هو عند مؤسّسه وبعد تطبيقه على نصوص الكتاب المقدّس، توصل كثير من هؤلاء العلماء إلى النّقاط التّالية:

أوّلا: إنكار الدّين والإله؛ لأنّه معنى تجاوزي، وكذا إنكار وجود الأنبياء وكلّ ما يتعلّق حياتهم وثقافتهم وشعوبهم وقصصهم ومعجزاتهم، وبهذا إنكار كلّ ما يتعلّق باليوم الآخر والغيبيات جميعها.

ثانيا: إعادة تفسير مفهوم العدل والظّلم، وذلك بجعل تفسير العدل والظّلم متغيّرا على حسب قراءة كلّ إنسان، وهذا هو المعنى الحقيقي للعدل عندهم، أن يكون لكلّ إنسان قراءته وفهمه الخّاص له.

ثالثا: إعطاء الحرّيّة المطلقة للشّخص للفهم كيفما شاء دون سلطة دينيّة أو لغويّة أو ثقافيّة أو تاريخيّة، وكذا الحرّيّة المطلقة في الفعل والتّطبيق، بعيدا كلّ البعد عن تعاليم الكتاب المقدّس والخضوع لها.

رابعا: إنكار الحقيقة المطلقة في جميع الأشياء، وهذا هو الحقّ في نظرهم، أن لا حقيقة.

فلم يبق عندهم أيّ عقيدة ولا تشريع يجب الأخذ به، بل كل يفسّر الأمور كيفما شياء على حسب نظره وفهمه.

المبحث الثالث: المؤيدون للمنهج التفكيكي جزئيا وآثاره في نظرهم

1– عالم أمريكي معاصر متخصّص في الدّراسات اللّاهوتية والعهد القديم، ولد سنة 1943م.

2– عالم أمريكي معاصر متخصّص في فلسفة الدّين وأستاذ في جامعة إنديانا.

المقصود بالتّأييد الجزئي هو إنكار الأصل الفلسفي والأخذ بتّقنيات المنهج التّفيكيكي والاستفادة من مهاراته حين قراءة النّصّ فقط دون الخوض في الأمور المنكرة للغيب والمخالفة للشرائع.

ممّن طبّق هذا المسلك العالم المسيحي كفين هارت **Kevin Hart** حيث جمع بين التّفيكيكيّة واللّاهوت المسيحي لتشكيل إيمان إنعكاسي يُقدّم نفسه أكثر صراحة مكان الإيمان الجازم، قائلا أنّ الإيمان الإنعكاسي يحفظنا من الجزم غير المنطقي[1].

مجالات استعمال المنهج التفكيكي[2]:

طبّق المنهج التّفكيكي في مجالات متعدّدة ومن أطراف مختلفة وفي مجالات ومواضيع متنوّعة، نذكر منها:

المنهج النسوي:

أوائل مفسّري أفكار دريدا لإزاحة مركز الرّجل الّذي هو ظاهر في نصوص الكتاب المقدّس هم النّسوة النّقّاد.

من أشهرهم فيليس تريبل[3] **Phyllis Trible** في كتابها "نصوص الرّعب ***Texts of Terror***" الّذي يمثّل مثالا مبكّرا للنّسويّة التّفكيكيّة، وفيه تذكر خمسة أمثلة من النّصوص الكتابيّة أين سرق فيها صوت المرأة واحتقرت في نظرها.

في دراسة السّياسة:

اقتحم المنهج التّفكيكي المجال السّياسي أيضا في الدّراسات الكتابيّة إذ نجد مثلا العالمان دفيد جوبلين **David Jobling** ورولاند بوور **Roland Boer** يستعملان التّفكيكيّة سياسيّا لوصف المجتمع الإسرائيلي وغيره من المجتمعات ويوظّفانه في تفسير النّصوص الكتابيّة.

في دراسة الأجناس:

1- انظر Hart, Kevin. *The Trespass of the Sign: Deconstruction, Theology and Philosophy* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989), p. 213.

2- انظر : Penchansky, David. *Deconstruction and the Bible*, p. 5. https://www.academia.edu/1389838/Deconstruction_and_the_Bible

3- عالمة أمريكية معاصرة متخصّصة في النّقد الكتابي والعهد القديم، ولدت سنة 1932م في فرجينيا.

دانا فيول **Danna Fewell** ودافيد جون **David Gunn** يستعملان النّقد الأدبي عموما، وفي دراساتهما للأجناس يستعملان تقنيّات المنهج التّفكيكي في تفسير النّصوص الكتابيّة، مثل في كتابهما "الجنس والسّلطة والوعد **Gender, Power, and Promise** ".

الاستدلال على صحّة المنهج التّفكيكي من الكتاب المقدّس:

من النّصوص الّتي يتّكئ عليها هؤلاء العلماء في جواز استعمال المنهج التّفكيكي في نصوص الكتاب المقدّس هي قولهم:

– إنّ الكتاب المقدّس يحتوي على الصّراع داخل النّص مثلما تقول به التّفكيكيّة، مثل ما هو موجود في قول الحيّة "لن تموتا" (تكوين 3/ 4)، الّذي يُعتبر صراعا ضدّ قول الرّبّ "موتا تموت" (تكوين 2/ 17).

– الكتاب المقدّس يشير إلى المُعنى به، ففي سفر التّكوين 1 نجد أنّ الكلمة (المُعطي للمعنى) وُجدت أوّلا قبل وجود النّور (المعنى به)، وكذا في سفر التّكوين 11. فهي تشير إليه قبل وجودها، وهذا موافق لمبدأ التّفكيكيّة بأنّ النّصّ ليس له مُعنى به.

– في الكتاب المقدّس هناك اهتمام بالزّوجيّة والثّنائيّة، فالله يخلق بالتّقسيم إلى اثنين: السّماء والأرض، اللّيل والنّهار، النّور والظّلام، الرّجل والمرأة وغيرها. فهو يتمشّى مع ما هو مقرّر في التّفيكيكيّة.

هكذا استدلوا لأصول وتقنيّات التّفكيكيّة من الكتاب المقدّس.

آثار المنهج التّفكيكي بالنّسبة للمؤيّدين له جزئيّا:

أثّر المنهج التّفكيكي على من أخذ به في التّقنيّات دون أصوله الفلسفيّة فيما يلي:

أوّلا: الدّعوة إلى المساواة الجنسيّة، والطلب بحرّيّة المرأة وإعطائها نفس حقوق الرّجل بل أكثر في بعض الأحيان، كلّ هذا من خلال إنشاء منهج جديد يدعى بالمنهج النّسوي.

ثانيا: الدّعوة إلى العدالة الاجتماعية، وتقسيم القوّة والثّروة بالعدل بين المجتمع، وعدم تحكيرها على العلماء أو غيرهم.

ثالثا: الدّعوة إلى العدالة السّياسيّة، والتّمكين للضّعيف وسماع صوته والانتصار له ضدّ القوّة المتسلّطة.

رابعا: تحليل الحرام التّقليدي كالرّبا، والخمر، والزّنا، والكذب لغرض، والعري، وغيرها من المحرّمات الكتابيّة الّتي كان متّفق عليها.

خامسا: نصرة الملعون والمظلوم والضّعيف والمعاقب والمحبوس والمقتول ولو بحقّ، والطّلب بحقوقهم، واستشعار أحوالهم والإحساس بهم.

المبحث الرابع: المعارضون للمنهج التفكيكي كليا وآثاره بالنسبة لهم

يجعل أصحاب الاتّجاه الرّافض للمنهج التّفكيكي كليّة منهجا عدميّا، ويجعلون التّفكيكيّة هي بمعنى العدميّة، من أجل قولهم بعدم وجود مركزية، وبعدم وجود معنى تجاوزي، وأنّ الله مفهوم غامض سرّي، وهو تعبير نصّي لا يفيد حقيقة، ولا يمكن الوصول إليه، وكذا الأنبياء وقصص الكتاب المقدّس، فهي عبارة عن عدميّة وإلحاد.

لذا نجد العالم المسيحي أليستر مكجرات[1] **Alister McGrath** يتكلّم عن العلاقة بين التّفكيكيّة والإلحاد فيقول: "كثير من كتّاب ما بعد الحداثة، ملاحدة، على الأقل بمعنى عدم إيمانهم بالإله. أصل فكرة التّفكيكيّة تظهر أنّها تقول أنّ فكرة الإله لا بّد أن تحُذف من الثّقافة الغربيّة كقوّة لجانب الكنائس وغيرها الّذين لهم غرض فيها لاستكمال بقائهم"[2].

ويقول بيل كروس **Bill Crouse**: "إنّ التّفكيكيّة هي أصل الشّرّ الاجتماعي والسّياسي والثّقافي، وهي عبارة عن حرب على المسيحيّة التّقليديّة. وأنّها أصبحت تُستعمل لضرب القيم التّقليديّة المسيحيّة، لذلك يعتبر المسيحيون ألدّ أعدائهم"[3].

آثار المنهج التّفيكي بالنّسبة للمعارضين له:

لم يتأثّر أصحاب هذا الاتّجاه بالمنهج التّفكيكي أصلا لأنّهم اعتبوه هرطقة وضلال لا يجوز الأخذ به واستعماله في تفسير الكتاب المقدّس، لما يؤّدي بالشّخص إلى إنكار الله، وكذا إنكار المعنى الحقيقي للكتاب، مثل إنكار ثنائيّة الرجل والمرأة، الخير والشّر، الإنسان والإله، وغيرها ممّا تكلّم عنه

1- عالم مسيحي أمريكي معاصر، متخصّص في الدّراسات الكتابيّة واللّاهوت الدّفاعي، ولد سنة 1953م.

2- McGrath, Alister. *The Twilight of Atheism* (New York, NY: Doubleday, 2004), p 227.

3- انظر: Crouse, Bill. *Deconstruction: The Postmodern Cult of Hermes.* http://www.christianinformationministries.com/wp-content/uploads/2016/02/Deconstruction-52-1.pdf

الكتاب المقدّس، فكلها تصبح أشياء أخرى مخالفة للكتاب بتطبيق المنهج التّفكيكي، فالمرأة تصبح تقوم بأعمال الرّجل، والرّجل يقوم بأعمال المرأة، ويباح تعدّد زواج المرأة، وعريها، وغير ذلك، كلّ هذا باسم الكتاب المقدس.

ويتغيّر مقياس الخير والشر، فيصبح الحرام حلالا، مثل ما أصبح القساوسة يجيزون اللّواط وزواج الجنس بمثله، ويجعل الإنسان إلها والإله إنسانا، وبه يتمّ إنكار وحي الكتاب المقدّس وأنّه كلمة الله، وإنكار ألوهيّة المسيح أو إنسانيّته على حسب تركيز القارئ على أيّهما تكون.

وقد نشئت هيئات تتبنّى هذه الآراء وتنسبها إلى الكتاب المقدّس وتطعن على المحافظين، مثل جمعية: المسيحيون من أجل المساواة الكتابية **Christians for Biblical Equality**.

خلاصة البحث:

نستنج ممّا سبق عرض أنّ المنهج التّفكيكي وآثاره في نظر علماء المسيحيّة على أقسام:

الأوّل: هناك من المسيحيّين من أخذ بالمنهج التّفكيكي كلّه، أصله وتقنيّاته، وآل به الأمر إلى أن ينكر الإله والأخلاق الحسنة والعدل والأنبياء وكلّ المعاني الوجوديّة الخارجية، وإعادة تفسير مفهوم العدل والظّلم والدّعوة إلى الحرّيّة وإنكار الحقيقة المطلّقة.

الثّاني: هناك من المسيحيّين من أخذ بالتّفكيكيّة ولكن من غير أصلها الفلسفي، وإنّما في تقنيّاتها التّفسيريّة فقط، فتوصّلوا بذلك إلى القول بالمساواة الجنسيّة والدّعوة إلى حرّيّة المرأة والطّلب بالعدالة الاجتماعيّة والسّياسيّة وتحليل الحرام ونصرة المظلوم.

الثّالث: هناك من المسيحيّين من أنكر التّفكيكيّة كلّها أصلها وتقنيّاتها؛ لأنه يخالف المعنى الحقيقي للكتاب المقدس ولتقاليده، فم يذهبوا إلى ما ذهب إليه غيرهم من إنكار العقائد والشرائع والتّقاليد المسيحيّة.

وكلّ موقف من مؤلاء المواقف الثّالثة حاول الاستدلال بالكتاب المقدّس على أقواله، إلّا أنّ الأوّل بعد عنه، والثّاني له أدلّة وبعض النّصوص الّتي توافقه، والثّالث لم يخرج عنه وعن كلّ نصوص فهو موافق له.

المصادر والمراجع

- الكتاب المقدس، ترجمة سميث فانديك.
- وليد القصّاب، مناهج النّقد الأدبي الحديث: رؤية إسلاميّة، ط2، (دمشق: دار الفكر 2009م).

- Crouse, Bill. *Deconstruction: The Postmodern Cult of Hermes* .
- Derrida, Jacques. *"Des Tours de Babel".* in Joseph F. Graham, *Difference in Translation.* (Cornell University Press, 1985).
- Hart, Kevin. *The Trespass of the Sign: Deconstruction, Theology and Philosophy* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989).
- McGrath, Alister. *The Twilight of Atheism* (New York, NY: Doubleday, 2004).
- Penchansky, David. *Deconstruction and the Bible*.